

## قراءات سياسية

### فحص المادة اللاصقة للتحالف السوري- الإيراني

لم يُقدَّر لنظام مغلق وقلق كالنظام السوري الصمود لفترة طويلة. فبعد ذهاب الأسد الأب، الذي خلف تركة ثقيلة، حاول الأسد الابن أن يجدد الحياة السياسية ويُحدث قفزة علمية وإقتصادية طموحة، ولكن في دولة تعاني من الفساد وقلة الموارد لم يتمكن من تحقيق ما كان يأمله، وهو ما كان من شأنه لو حصل، أن يعزز من قوة النظام وإستقراره.

الآن، وبعد سقوط النظام العراقي وقتل رئيسه صدام حسين، وتعرض سوريا لضغوط أميركية وإسرائيلية متواصلة، ذهب الرئيس بشار للإعتناء بأمرين آخرين: تعزيز قوة أوراق المقاومة التي كان يمسك بها والده، وعقد تحالف وطيد بينه وبين النظام الإيراني، والذي إشتدت مادته اللاصقة أكثر في حرب حزب الله مع إسرائيل في تموز الماضي، حيث تلقى دعماً حاسماً من قبل سوريا وإيران، وبفضل الموقف الموحد من الوجود الأميركي في العراق.

أمام هذا السلوك، ذهبت الولايات المتحدة ومعها إسرائيل للضغط بصورة مشددة على سوريا، وعبر ثلاث خيارات تصاعدية لإخضاعها أو تحييدها، وهي:

- 1) تسوية سياسية تخرج سوريا من المواجهة ضد إيران والقوى التي تدعمها.
- 2) قلب النظام، وهو خيار كان له الأولوية قبل حرب تموز الماضي، وما زال خياراً جدياً.
- 3) الحرب على سوريا كخيار أخير، حين يكون الأميركيون والإسرائيليون في وضع مناسب وأفضل مما هم عليه الآن.

وبحسب ما عبرت عنه رسالة رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت للرئيس السوري بشار الأسد، فإن سوريا مدعوة للإخراط مع إسرائيل في مفاوضات لإسترجاع الجولان مقابل فكها للتحالف مع إيران، والتخلي عن قوى المقاومة. فهل سيوافق الأسد على ذلك؟ لمقاربة الجواب على هذا السؤال، ثمة أربعة احتمالات؛  
الأول: وهو الإحتمال البسيط الذي تقدم فيه إسرائيل الجولان مشروطاً ببقاء المستوطنات والقواعد العسكرية الإسرائيلية، مقابل تحييد سوريا سياسياً وعسكرياً من أي مواجهة إقليمية.

الثاني: أن تكون للمفاوضات أهدافاً مطوية من قبيل:

- 1- تحسين صورة أولمرت بطمأننة الشعب بوجود تسوية تنهي الصراع والقلق.
- 2- إضعاف المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق عبر القول: هذه سوريا قد ركبت في قطار التسوية.
- 3- إخراج حكومي السنيورة وعباس من المأزق ودفع الدول العربية بقوة نحو التسوية المباشرة مع إسرائيل.

4- تحسين أوراق التفاوض الأميركية مع الإيرانيين حول وضع العراق.

5- الاستفادة من التدايعات المتوقعة لزعة النظام السوري وقلبه، ودفعه بدوران في الفلك العربي "المعتدل".

الثالث: أن تكون الخطوة مجرد آلية لفحص وضع سوريا ومدى إستعداد الأسد لتغييرات سياسية جوهرية، ولإستنتاج مدى جدية سوريا في خوض حرب، أو مدى جدية وثبات تحالفها مع إيران.

الرابع: أن يكون المطلوب من المفاوضات ملء الوقت الإسرائيلي الضائع، أو إبقاء سوريا تحت الضغط السياسي عبر الشروط المشددة وإبصاد باب المفاوضات في اللحظة المناسبة لشن حرب، إذ يمكن حينها أن تعلن فشل المفاوضات وتلقي باللائمة في ذلك على سوريا.

ومعزل عن أهمية الإحتمالات الآنفة، فإنه إذا كانت الولايات المتحدة وإسرائيل في ورطة، فلماذا نتوقع أن تفك سوريا تحالفها المفيد مع إيران، أو أن تتخلة عن أوراق المقاومة التي تمتلكها؟! هل سيحزن الأسد لو بقيت أميركا في الفخ المحكم في العراق فترة أطول، أو أن تنشغل إسرائيل المربكة بحل مشكلة إستراتيجيات الردع الفاشلة، والتي تعرضت لضربة قاسية في حربها مع حزب الله تموز الماضي؟ صحيح أن نظام الأسد قلق ويحتاج الى تسوية تحمي وجوده ونظامه، ولكن ربما فات الأوان. فالأميركيون حالياً لن يتركوا الأسد ينعم بهذه الفرصة دون تسوية حاسمة تقضي على تاريخ النظام وتحذفه من الخارطة سياسياً. بل إن الأميركيين الآن يريدون من الأسد أكثر من ذلك؛ يريدون منه القيام بوظيفة واحدة وهي مواجهة النفوذ الإيراني في المنطقة، وفي العراق خاصة.

ومن دون شك، فإن بقاء سوريا قوية بتحالفاتها من دون الجولان سيكون أفضل للأسد من سوريا ضعيفة مع رجوع الجولان. المرحلة هي مرحلة عض على الأصابع في إطار الفصل الأخير من محاولات لي الذراع. وبحسب سياق الأحداث، لم يكن مفاجئاً ما تناقلته وسائل الإعلام من أن سوريا ستحصل على طائرات روسية متطورة بتمويل إيراني. وإن نفت روسيا الخبر، إلا أن إيران وسوريا لم تنفياه. لكن هذا الخبر بتقديري جواب ليس على رسالة أولمرت حول الجولان، بل إنه جواب على المناورات الأميركية-الإسرائيلية المشتركة التي جرت في صحراء النقب الشهر الماضي.

بتقديري، فإن سوريا لن تطمن لأي خطوة بعدما رأت كيف تعاملت أميركا مع العراق وصدام، وكيف تعاملت مع الدولة الفلسطينية وعرفات، وكيف تتعامل الآن مع لبنان وسوريا معاً. فالأميركيون الآن لا يعتمدون العمل الدبلوماسي، هكذا وصفهم بريجنسكي. فهم يميلون عصا غليظة من الجهتين، وليس من خيارات أمامهم. إنهم يعتمدون حرب إلغاء للأدوار والنفوذ، إنهما: لا وسطية لا واقعية. فماذا على بشار أن يفعل سوى المضي في المواجهة بعدما حُرِمَ من هامش الهروب الى الأمام، وهي السياسة التي كان يتقنها والده حافظ الأسد، ولن يعطي بشار فرصة للأميركان لتعطيل التحالف. إذ أنه في حال تخلى الأسد عن إيران، فسيصبح الأفراد بإيران محتملاً جداً، وهو ما يجعل الأميركيين بعدما وجهوا ضربة قوية لإيران في حلٍ من أي إلتزام تجاه سوريا.

